التفكير اللساني التربوي في التراث العربي من خلال المقدمة لابن خلدون

The Educational linguistic thinking in the Arab heritage through the introduction to Ibn Khaldun

مريم بوقرة*

جامعة عباس لغرور . خنشلة . (الجزائر)

meriembouguerra0@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2023/05/26	تاريخ التقييم: 2023/07/21	تاريخ القبول: 2023/12/30

الملخص:

ظهرت اللسانيات التربوية نتيجة ال تحاقل بين اللسانيات والبيداغوجيا، موضوعها العملية التعليميةالتّعلّمية وما يرتبط بها من أساليب وطرائق، وبوصفها حقلا من حقول اللسانيات التطبيقية فهي تعدّ حديثة النشأة حداثة علم اللسان التطبيقي.

إلا أن العائد إلى التراث العربي القديم يجد لها جذورا؛ فالكثير من العلماء العرب القدامى قد اهتموا باللغة وتعليمها ومن بينهم ابن حزم، وابن خلدون... وغيرهما.

ركزنا في هذا البحث على أفكار واحد من كبار علماء العرب القدامى وهو "ابن خلدون"، الذي كان يملك تفكيرا لسانيا تربويا يضاهي التفكير اللساني التربوي الحديث، تفكير من شأنه النهوض بالتعليم خاصة تعليم اللغة الأم (العربية)، في محاولة للوقوف على القضايا التربوية في تراثنا العربي القديم والدعوة إلى الاهتمام بها واستثمارها في بناء المناهج التعليمية وسير العملية التعليمية خاصة في المرحلة الابتدائية.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات التربوية؛ التعليم؛ المعلّم؛ المتعلّم؛ المناهج؛ التراث العربي.

Abstract:

The educational linguistics has emerged as a result of the interaction between linguistics and pedagogy, the subject of which is the educational-learning process and the associated methods and modalities .As a field of applied linguistics, it is the newness of applied linguistics.

However, who return to the ancient Arab heritage will find roots in it. So that many ancient Arab scholars have been interested in the Language and its teaching, including Ibn Hazm , Ibn Khaldun and others.

In this research, we have been focused on the thoughts of one of the greatest ancient Arab scholars, Ibn Khaldun, who had an educational linguistic thinking comparable to modern educational linguistic thinking, thinking that would advance education, especially teaching the mother tongue (Arabic) inan attempt to identify educational issues in our Arab heritage. And the call to pay attention to it and invest it in building educational curricula and the progress of the educational process, especially in the primary stage.

Keywords: educational linguistics; education; teacher; learner; curriculars; the Arab heritage.

*المؤلف المراسل.

1. مقدمة:

التعليم أساس بناء الأمم والحضارات. عمودها الفقري ومحركها نحو التقدم والرقي، فيه تنهض أمم و به تندثر أخرى، حتى أن الكتب السماوية نادت به، وكانت أوّل كلمة نزلت من القرآن الكريم "اقرأ".

و نظرا لأهمية التعليم في حياة الإنسان وآثاره الإيجابية عليه وعلى المجتمع بصفة عامة، كان موضوع اهتمام الباحثين والعلماء منذ القديم، وقد ألّفت فيه الكثير من الكتب. بل ألفت فيه مجلدات، وتعقد في كل عام حوله العديد من المؤتمرات والندوات والأيام الدراسية.

وفي الحقيقة إن واقع التعليم في الوطن العربي اليوم يعاني في صمت، فقد تراجع المستوى التعليمي في السنوات الأخيرة لدى المتعلمين بشكل مخيف، ولا يزالون في الوقت الراهن

يبتعدون شيئا فشيئا عن التعليم، حتى أن هذا تفاقم ليمس تلاميذ المرحلة الابتدائية الذين صاروا يعزفون عن الدراسة رغم أنّهم لا يزالون في المراحل الأولى للتعليم وهي المرحلة التي يكون فيها المتعلم أكثر قابلية للتعلم.

لهذا كانت اللسانيات التربوية لتهتم بكل ما يخص العملية التعليمية من مناهج ومتفاعلين فيها (معلم ومتعلم) والطرائق الصحيحة للتعليم، كما تعمل على علاج مختلف المشاكل التي يعاني منها التعليم.

والمتتبع لتاريخ الفكر اللساني التربوي يجد أنه لم يولد واللسانيات التطبيقية الحديثة، فللعائد إلى التراث العربي القديم يجد لهذا المصطلح جذورا ضاربة فيه، وذلك من خلال اهتمام العرب بالتعليم والمتعلم وبكيفية التعليم الصحيحة التي يحصّل من خلالها المتعلم العلوم ويتمكّن منها.ومن بين العلماء العرب القدامى المهتمين بالتعليم وما يتمحور حول العملية التعليمية نجد ابن خلدون في مقدمته، والذي حاول من خلالها أن يشرح الطريقة التعليمية الصحيحة لتحصيل العلوم عن طريق عرضه للعديد من القضايا التعليمية والمفاهيم المعرفية كقضية التحصيل العلمي الناجح ومفهوم الملكة وتغذية العقل والحفظ والفهم... وغيرها من القضايا والمفاهيم.

ففيم تتمثل القضايا التربوية التي طرحها ابن خلدون في مقدمته؟ وما مدى إسهامه في إثراء البحوث التربوية قديما وحتى حديثا؟ وهل ما جاء به ابن خلدون من شأنه النهوض بواقع التعليم اليوم خاصة في الوطن العربي؟

في هذا البحث سنتطرق إلى أهم هذه القضايا والمفاهيم في محاولة للتأصيل للقضايا التربوية الحديثة عن طريق قراءة أحد المصنفات التراثية، ومن أجل التعرّف على التفكير اللساني التربوي عند ابن خلدون، ومدى موافقته ونتائج اللسانيات التربوية الحديثة، ومدى إسهام أفكاره في النهوض بواقع التعليم في الوطن العربي خاصة في مراحله الأولى إن تم استثمارها، متبعين في هذا المنهجين الوصفي والاستقرائي، مع الاستعانة بالمنهج التاريخي عند التأصيل.

2. اللسانيات التربوية الحديثة

تعد اللسانيات التربوية حقلا من حقول اللسانيات التطبيقية، ظهرت نتيجة التحاقل بين علمي اللسان والبيداغوجيا (علم التربية)، وتهتم بالعملية التعليمية التّعلّمية وأساليبها والفاعلين فيها (المعلم والمتعلم) وبطرائق التدريس في مختلف المواد، كما تهتم بالمناهج التربوية... وغيرها من القضايا، ولعلّ أهم موضوع تركز عليه اللسانيات التربوية هو تعليم اللغات، فأهم الأسئلة التي تسعى إلى الإجابة عنها هي: لماذا نعلّم اللغة؟ ومتى نعلّمها؟ وأين نعلّمها؟ وكيف نعلّمها؟ ولمن نعلّمها؟

تهتم اللسانيات التربوية إذا بـ:

1.2 تعليمية اللغات للناشئة

يشكّل موضوع تعليم اللغة للناطقين بها أو الناطقين بغيرها من المواضيع التي لا تزال الأبحاث إلى اليوم قائمة من أجل تيسير تعليمها، حتى أنه وضعت منصات وبوابات وبرامج إلكترونية للمساعدة في تحقيق ذلك، كما أنه في كل عام تعقد العديد من المؤتمرات والندوات حول هذا الموضوع من أجل استثمار أفكار الباحثين في بناء مناهج تعليم اللغات وسد الثغرات الموجودة في المناهج المعمول بها حاليا، والبحث عن حلول للمشاكل التي يعاني منها تعليم اللغات خاصة تعليم اللغة الأمّ في المرحلة الابتدائية.

واللغة العربية غير بعيدة عن هذا، فهي الأخرى تحاول استثمار نتائج الأبحاث اللسانية التربوية من أجل النهوض بتعليمها وتيسيره للناطقين بها والناطقين بغيرها، كما أنها تروم استثمار مختلف نتائج البحوث اللسانية في ميدان الرقمنة والحوسبة والنظريات اللسانية الحديثة للغاية ذاتها.

ويمكن تعريف تعليمية اللغات على أنها مجموع الطرائق والأساليب والتقنيات المتّبعة من أجل تدريس لغة معينة؛ لغة المنشأ (اللغة الأمّ) أو لغة ثانية.[1] ولقد ظهرت العديد من النظريات التي تروم تعليم اللغات منها: النظرية السلوكية، والنظرية المعرفية والنظرية التوليدية التحويلية والنظرية الجشطالتية...وعليه فتعليم اللغات يعتمد على مجموعة من الوسائل والتقنيات والأساليب حتى يتحقق الهدف منه ويحصل الفهم لدى المتعلم، خاصة أنه في مرحلة لا يتمكن فيها لوحده من اكتساب المعرفة بل يحتاج إلى معلّم يوجّهه إلى الطريقة الصحيحة

التي يحصّل بها المعارف، إضافة إلى أن المعلّم يذلّل الصعوبات التي تواجه المتعلّم عند تعلّمه لغة معين سواء لغته الأمّ أو لغة ثانية.

ونجد أنّ التعليم التربوي في الجزائر مثلا في ميدان تعليم اللغات يعمل على تعليم الطفل لغته الأم (اللغة العربية) إضافة إلى تعليمه لغات ثانية هي الإنجليزية والفرنسية في مرحلتي الابتدائي والمتوسط، وفي الثانوي تضاف إلى اللغات الأخرى لغات أخرى كالإسبانية والألمانية لتلاميذ شعبة اللغات. وقد خصصت الوزارة مناهج لتعليم هذه اللغات، لكن الأسئلة التي تطرح نفسها: هل هذه المناهج كانت كفيلة بتعليم الطفل للغته الأم ولغات ثانية؟ وهل حقا تلميذ المرحلة الابتدائية يخرج من هذه المرحلة وهو يعرف القراءة والكتابة والتعبير في هذه اللغات؟ أم أنّه من المفترض أن تركّز هذه المرحلة على تعليم اللغة الأم وتمكين الطفل منها؟ الواقع يجيب أن أغلب التلاميذ يخرجون من المرحلة الابتدائية وهم غير متمكنين من فنيّات التعبير الشفهي والإنتاج الكتابي بل منهم من لا يمكن له تكوين جملة صحيحة، حتّى أنّ منهم من لا يسترسل في القراءة ولا يُحسنها، ومن لا يفرّق بين الاسم والفعل وأزمنة الفعل وتصريفه مع الضمائر، والكثيرين منهم من تكثر أخطاءه الإملائية... و غيرها من المشاكل التي تنتقل مع التلميذ من المرحل الابتدائية إلى مراحل أعلى، وهنا السؤال: أمِنَ الصواب أن نعلّم للطفل لغته الأمّ بالموازاة مع لغات ثانية؟ وهل عقله الذي لم يكتمل نموّه بعد يمكن له استيعاب هذا الزخم المعرفي؟

ربّما من الأحسن أن تكون المرحلة الابتدائية مرحلة اكتساب اللغة الأم واكتساب العلوم والمعارف التي تغذّي العقل كالحساب، أما تعليم لغة ثانية فيكون في مراحل متقدّمة حتى لا تضيع اللغة الأمّ من الطفل فنجده لا هو متمكّن من لغتّه الأم ولا هو متمكّن من لغات أخرى، وعليه فالمناهج الجزائرية بحاجة إلى إعادة نظر من حيث عدد اللغات المقررة، ومن حيث المادة المعرفية التي تقدّم له في كل مادة.

2.2 العملية التعليمية التعلّمية: اهتمت اللسانيات التربوية بالعملية التعليمية التّعلّمية وما يرتبط بها، وهذه العملية تتفاعل فيها مجموعة من العناصر كالمعلم والمتعلّم وطرائق

التدريس والوسائل المتنوعة من كتب ومشاهد وصور وخرائط... وغيرها لتحقق الهدف المنشود منها.

وبما أن المعلم والمتعلم يمثلّان قطبي العملية التعليمية التّعلّمية، سنركّز على بعض الخصائص التي يجب أن يتصّف بها كل واحد منهما لنجاح عملية التعليم وبلوغ الغاية المرومة منها.

1.2.2 المعلّم: محور أساسي في العملية التعليمية التّعلّمية، وحتّى يكون المعلّم ناجحا لا بدّ أن يتّصف بمجموعة من الصّفات منها:[2]

- الصّدق وإخلاص النيّة في العمل، والتّحلّي بمكارم الأخلاق كالصبر والتواضع.
- التّحلي بالعلم كمّا ونوعا: فيجب أن يكون المعلّم عالما بمادة تخصصه شكلا ومضمونا، والتحلّي بالأمانة العلمية، والقدرة على نشر العلم النافع.
- استمرارية التّعلّم واكتساب العلم المعرفة؛ فعلى المعلّم أن يكون مطّلعا على كل مستجدّات التطور الحاصل في مجال تخصصه وحتى في المجالات الأخرى لتوسيع ثقافته، وأن يكون دائم الاطّلاع على تطورّات التعليم والتّعلّم...
- حسن المظهر وأناقة الملبس فيجب أن يكون مظهره مناسبا لمهنته لأنه قدوة لتلاميذه.

كانت هذه أهم الصفات التي يجب أن يتحلّى بها المعلّم الناجح، فهو قدوة التلميذ خاصة في المرحلة الابتدائية، وهو بمثابة الأب الروحي للتلميذ، ونجد أنّ الكثير من التلاميذ يتأثرون تأثرا شديدا بمعلميهم، ويحبون المادة التي يدرّسونها ويقبلون على دراستها والتفوّق فيها بل منهم من يبقى متأثرا بمعلّم له في مادة ما ليدرس التخصص نفسه في الجامعة... والعكس نجده إذا كان المعلّم شديدا سليط اللسان كثير الضرب، قليل العلم... فينفر منه المتعلمون ويكرهون حتى مادته ولا يحبّون دراستها.لهذا على المعلّم أن يتحلّى بهذه الصفات أو على الأقلّ أغلبها حتى يكون ناجحا في عمله، محبوبا لدى تلاميذه مرضيا لله في عمله.

2.2.2 المتعلّم: هو الآخر محور أساسي في العملية التعليمية التّعلّمية، وحتى يكون متفوقا ومتمكنا من تحصيل العلوم والمعارف يجب أن يتّصف بمجموعة من الصفات، منها[3]:

أ. **الاستعداد والقابلية** : يجب أن يكون لدى المتعلّم قابلية للتعلّم والقيّام بمختلف الأنشطة دون إكراه، فالعلاقة بين القابلية والتعلّم علاقة طردية؛ فكلّما كان عند المتعلّم استعدادا كبيرا للتعلّم كلما كان تعلّمه أسرع والعكس.

ب. **الدّافعية:** وهي بمثابة قوى كامنة ومحرّكة لسلوك الفرد، فالمتعلّم تواجهه العديد من الظروف عند تعلّمه كسكنه بعيدا عن المدرسة واستيقاظه باكرا وسهره ليلا على حلّ واجباته والمذاكرة... كل هذه الظروف تحتاج إلى دوافع للتغلب عليها كاحتلال المراتب الأولى والنجاح مثلا، فهذه الدوافع تجعل لديه صبرا وقوة تحمّل في سبيل تحقيق ذلك.[4]

ج. **الممارسة**: من الأمور الأساسية التي يجب توافرها في المتعلّم، لأن تعلّم علم معيّن يكون بالتكرار، فتعلّم القراءة مثلا يكون بكثرة المطالعة وتعلّم الكتابة يكون بتكرارها... لهذا فإن تكرار الخبرات يساعد على اكتساب العلوم والخبرات.

إلى جانب هذه الصفات تلعب الصفات الجسمانية دورا في تفوق المتعلّمين من عدمه، ومنها سلامة حاستي السمع والنظر، وسلامة العقل وسلامة الجسم من الأمراض المزمنة... وغيرها، فكلّما كان جسم المتعلّم وعقله سليمين كلّما كان تحصيله للعلم أكبر، وكلّما كان يعاني من اضطرابات صحيّة كلّما أثّر هذا على تحصيله.

تُعنى اللسانيات التربوية إذا بتعليمية اللغات للناشئة، وبالعملية التعليمية التّعلّمية وبعناصرها المختلفة (المعلّم، المتعلّم والمناهج والمحتوى التعليمي...)، ومن المواضيع التي تُعنى بها اللسانيات التربوية أيضا:التأخر الدراسي وأسبابه وكيفية علاجه، وصعوبات التّعلّم وعلاجها، والتفوق الدراسي، والتعليم المكيّف، والتعليم الرقمي.

3. اللسانيات التربوية في التراث العربي القديم

اللسانيات التربوية بوصفها فرعا من فروع اللسانيات التطبيقية فهي لا محالة حديثة النشأة،إلا أنّ العائد إلى التراث العربي القديم يجده يزخر بدرر ثمينة؛ فالكثير من القضايا اللسانية التي جاءت بها اللسانيات الحديثة (السياق، الدال والمدلول والعلاقة بينهما، البنى السطحية والعميقة...) لها جذور في التراث العربي القديم، والاختلاف بينهما إنّما في المصطلحات ومنهجية الطرح؛ وفي الحقيقة أن تراثنا يحتاج إلى إعادة قراءته وتصنيفه وتبويبه

وتفحّص الأفكار والنظريات الموجودة فيه واستثمارها من أجل النهوض بالأبحاث اللغوية الحديثة وخدمة اللغة العربية.ولم يخلو التراث العربي القديم من الأفكار التربوية التعليمية، فالكثير من العلماء العرب القدامى قد اهتموا بالمعلّم والمتعلّم وكيفية تحصيل العلوم والمعارف، وكيفية اكتساب وتعلّم اللغة الأم... وغيرها من القضايا المتنوعة، ومن بينهم: ابن حزم، وابن القيم الجوزية، وابن خلدون... وغيرهم.

1.3 الأفكار التربوية في تراث ابن حزم:

1.1.3 فضل العلم : يرى ابن حزم أن الإنسان المتعلّم خير من الإنسان الجاهل، فمن فضل العلم على الإنسان أنه يميز به بين الخير والشر وبين ما ينفعه وما يضرّه، والعلم يرفع صاحبه درجات، وهو يتّفق في طرحه هذا مع ابن القيّم ويتفق أيضا مع اللسانيات التربوية الحديثة، فالعلم هو من يبني الإنسان والمجتمعات فـ" لَوْ لَمْ يَكُن من فضل العلم إلا أن الجهَّال يهابونك ويجلونك، وأن العلماء يُحبونك ويكرمونك لكان ذلك سبباً إلى وجوب طلبه ... لو لم يكن من فائدة العلم، والاشتغال به؛ إلَّا أَنَّه يقطع المُشْتَغَل [بِهِ] عن الوساوس المُضْنِيَةِ... وكفاية الأفكار المُؤلِمَةِ للنَّفْس؛ لكان ذلك أعظم داع إليه، فكيف وله من الفضائل ما يطول ذكره، ومن أقلها ما ذكرنا مما يحصل عليه طالب العلم"[5].

3. 1. 2 تناسب العلم مع مستوى المتعلّم: من أهم الأفكار التي تحدّث عنها ابن حزم هو مراعاة مستوى المتعلّم عند تعلّمه، فلا يجب أن يتعلّم المتعلّم علما أكبر من مستوى تفكيره لأن هذا يهلك عقله، بل يجب أن يأخذ من العلوم ما يمكن له فهمها واستيعابها فـ"ا لعلوم الغامضة كالدواء القوي، يُصْلِح الأجساد القوية،ويُهلك الأجسادَ الضَّعِيفَة، وكذلك العلوم الغامضة تزيد العقل القوي جودةً، وتُصفّيه من كل آفة، وتهلك ذا العقل الضعيف "[6]، وللأسف فإن هذا ما نجده في المناهج الجزائرية، فمحتواها التعليمي في أغلب الحالات لا يتوافق والنمو العقلي للطفل، كما أنها تتسم بحشو المادة المعرفية وضيق الوقت المخصص لتقديمها فيصعب على ضعيف المستوى أن يستوعب ويفهم معناها، ومن ذلك ما نجده مع أقسام التربية التحضرية على سبيل المثال فطفل هذه الأقسام لم يكتمل نموه العقلي ولا الجسمي ولا إدراكه... ويأخذ تعلّمات أكبر من عمره وعقله فيدرس المجموعات الغذائية ووسط عيش الحيوان والحيوانات

الولودة والبيوضة ومراحل نمو النبتة والمادة ومشتقاتها... وغيرها من التعلّمات، أيعقل أن نقدّم لطفل بعمر الخمس سنوات أو أقل مثل هذه التّعلّمات؟ وهل يستوعبها حقا؟ بالطبع لا فحتى التلاميذ الذين يملكون مستوى ذكاء عال يصعب عليهم استيعاب محتوى هذه الدروس، ويجد المعلّم صعوبة في إيصال المعلومة إليهم رغم تبسيطه لها وعرضه حتى لصور وأفلام وثائقية، وهذا يعود إلى عدم توافق محتوى هذه الدروس والنمو العقلي للطفل، لهذا كان من الأفضل أن تستهدف المرحلة التحضيرية الأرقام والعدّ واكتساب اللغة الأم عن طريق تعلّم الحروف نطقا وكتابة في مختلف الوضعيات، وحفظ القرآن الكريم والأدعية والأحاديث النبوية الشريفة وتعلم بعض السلوكيات كالانضباط واحترام الآخرين وطاعة الوالدين... وغيرها من المواضيع التي يحتاجها الطفل في هذه المرحلة فحاجته إلى تعلم الحروف والأرقام تعلّما صحيحا أكثر من حاجته إلى معرفة مراحل نمو النبتة أو مشتقات المادة.

2.3 الأفكار التربوية في تراث ابن القيّم:

إلى جانب ابن حزم نجد ابن القيّم الذي اهتم هو الأخر بالعلم والمتعلمين والمعلّمين، ومن الأفكار التي جاء بها:

1.2.3. ارتباط العلم بالإرادة : ربط ابن القيم بين العلم والإرادة وخصص لهما بابا في كتابه "مفتاح دار السعادة" بعنوان: "فصل العلم والإرادة"، حيث يرى أنهما مجتمعان يشكّلان طريقا يهتدي به الإنسان إلى الخير والعمل الصالح، وقد أشار إلى أن "لكمال كلِّ إنسانٍ إنَّما يَتِمُّ بهذين النوعين، همَّةٌ تُرقّيهِ ، وعلم يُبصِّرهُ ويهديه؛ فإنَّ مراتب السَّعادَةِ والفَلاحِ إنما تفوتُ العبد من هاتين الجهتين، أو من إحداهما، إمَّا أن لا يكون له علم بها ، فلا يتحرَّكُ في طَلَبها، أو يكون عالما بها ولا تنهَضُ همَّتُهُ إليها، فلا يَزالُ في حضيض طبعه محبوسًا، وقلبه عن كماله الذي خُلِقَ له مصدودًا منكوسا، قد أسلم نفسه مع الأنعام راعيًا مع الهَمَلِ، واستطابَ لقيماتِ الرَّاحَةِ والبطالة، واسْتَلَانَ فِراشَ العجز والكسل، لا كَمَن رُفِعَ له عَلَمٌ فشمَّرَ إليه، وبُورِكَ له في تفرده في طريق طلبهِ، فَلَزِمه واستقام عليه ..."[7]؛ فالمتعلّم لا بدّ أن تكون لديه إرادة في التّعلّم لأنها هي الدافع نحو الاغتراف من العلوم، واللسانيات التّربوية الحديثة ترى أن الدافعية والإرادة من

الشروط الأساسية التي يجب أن تتوفر في المتعلّم خاصة إذا كانت ظروف تعلّمه صعبة، فعلى المتعلّم أن تكون لديه إرادة قوية للتغلّب على هذه الظروف وإكمال تعلّمه.

2.2.3التفكروالتذكر: من آليات تعلّم العلوم وترسيخها في الذهن آلية (التفكر والتذكر) التي تحدث عنها **"ابن القيم"**؛ حيث يرى أن "التذكر يفيد تكرار القلب على ما علمه وعرفه ليرسخ فيه ويثبت، ولا ينمحي فيذهب أثره من القلب جملة، والتفكر يفيد تكثير العلم واستجلاب ما ليس حاصلا عند القلب، فالتفكر يحصله والتذكر يُحفّظُهُ..." [8]، فتعلم أي علم وفهمه يحتاج إلى إعمال العقل للتفكر والتدبر فيه وفهمه فهما صحيحا، ومن ثمَّ مذاكرة ما تعلمه وفهمه حتى يترسخ في ذهنه، وغالبا ما نجد المتعلّمين الذين يستذكرون دروسهم أعلى مستوى من التلاميذ المهملين والذين لا يستذكرون ما تعلّموه أو حفظوه فيضيع منهم، فالمذاكرة من آليات ترسيخ العلوم في الذهن.

من خلال الأفكار التي تمّ عرضها يتّضح لنا جليا اهتمام ابن القيم بالتعليم ومناداته به، وقد تحدّث عن العديد من الآليات المساعدة في تحصيل العلوم والتي تتناولها اللسانيات التربوية الحديثة بالدراسة كالإرادة والتفكر والتذكر والتدبر... وغيرها من القضايا التي يضمّها كتابه"مفتاح دار السعادة" والتي لا يمكن عرضها كلّها.

4. التفكير اللساني التربوي عند ابن خلدون

يعدّ **"ابن خلدون"** قامة من قامات علماء العرب، اهتم بمعالجة العديد من القضايا الاجتماعية واللغوية، كما اهتم بالجانب التربوي في كتابه **"المقدّمة"** محاولا بذلك توجيه الفرد والمجتمع إلى السلوكيات والتصرفات الصحيحة الاجتماعية منها والتربوية... التي من شأنها أن تبني الفرد والمجتمع معا.

سنقف على أهم القضايا التربوية التي أثارها **"ابن خلدون" في كتابه "المقدّمة"** من أجل الوقوف على التفكير التربوي عنده وفي البيئة العربية عموما، ومن أجل المقارنة بين ما جاء به وما جاءت به اللسانيات التربوية الحديثة، ومعرفة مدى خدمة أفكاره للتعليم في الوقت الراهن في الوطن العربي إن تمّ استثمارها.

من القضايا التربوية التي أثارها **"ابن خلدون"** في مقدمته:

1.4 **الملكة:** تعدّمن أبرز القضايا التي أثارها **"ابن خلدون"** وتحدث عنها في الكثير من فصول مقدمته، ويرى أنّها صفة راسخة في النفس البشرية يكتسبها الفرد عن طريق الاستعمال المتكرر وهذه الطريقة في التّعلّم أشارت إليها العديد من الأبحاث اللسانية التربوية وحتى النفسية منها، فالإنسان يتعلّم عن طريق الممارسة والتكرار وكلّما كرّر عملا معيّنا كلّما كان مبدعا فيه وفي وقت قيّاسي، كذلك الأمر بالنسبة للعلوم أو اللغات، وقد أشار ابن خلدون إلى "الملكة اللغوية" حيث يرى أن " اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني، وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها. وليس ذلك بالنظر إلى المفردات وإنما هو بالنظر إلى التراكيب. فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع، وهذا هو معنى البلاغة "[9]، ويتّفق "ابن خلدون" في طرحه هذا مع النظريات اللسانية الحديثة وعلى رأسها النظرية الوظيفية التي تحدثت عن الملكة* عند حديثها عن القدرة التواصلية لمستعمل اللغات الطبيعية؛ وتعريفهم للملكة اللغوية يقارب إن لم نقل يطابق في معناه ما جاء به "ابن خلدون"؛ فالملكة اللغوية عند الوظيفيين هي الملكة التي " تمكن مستعمل اللغة الطبيعية من إنتاج وتأويل عدد لا متناه من العبارات اللغوية في مقامات تواصلية مختلفة، كما تمكنه من اكتساب أي لغة من اللغات الطبيعية"[10].

من خلال التعريفين السابقين للملكة اللغوية يمكن القول أنها الملكة التي تمكّن مستعمل اللغة الطبيعية من إنتاج الكلام بشكل سليم نحويا ودلاليا مع مراعاة المواقف التي يكون فيها (مقتضى الحال)، وتمام الملكة أو نقصانها يؤثر على جودة الكلام فكلّما كانت الملكة تامّة كلّما كان الكلام سليما نحويا ودلاليا ومراعيا للمواقف، وكلّما كانت ناقصة كلّما ظهر هذا على جانب من جوانب الكلام فيشوب الكلام ضعفا في التأليف أو لا يتناسب مع المواقف...

ولقد أشار ابن خلدون إلى كيفية تحسين جودة الملكة يقول: " لا بد من كثرة الحفظ لمن يروم تعلم اللسان العربي وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته فيجنسه وكثرته من قلته تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ... وعلى مقدار جودة المحفوظ أو المسموع تكون جودة الاستعمال من بعده..."[11] وعليه فحتى يتعلم الطفل اللغة الأم بشكل صحيح وتكتمل الملكة عنده لا بد

عليه أن يحفظ كلاما عربيا جيد السبك والنظم كالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وأشعار العرب وكلامهم... والمناهج التربوية الجزائرية ومنذ المرحلة الابتدائية تسعى جاهدة إلى الحث على تحفيظ المتعلّمين السور القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي يدرسونها، وتحفيظ الشعر وكلام العرب في المراحل المتقدمة وهذا يساعد على تحسين لغة المتعلّم ويكسبه فصاحة.

2.4 **الابتعاد عن الحفظ دون الفهم:** من أهم الأفكار التي أثارها **"ابن خلدون"** فكرة حفظ المتعلّم لما يتعلّمه دون فهمه، وهي من أخطر ما قد يقع فيه المتعلّم، فبعض المتعلّمين للأسف يركزون على الحفظ ظنّا منهم أنه هو الطريقة الأنسب لتحصيل العلوم، غير أنه لوحده دون فهم يجعل الملكة قاصرة عنده، لهذا يرى **"ابن خلدون"** أن المتعلم لا يجب عليه أخذ العلم وحفظه دون فهمه حتى لا تكون الملكة عنده قاصرة فـ" تجد طالب العلم منهم، بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون ولا يفاوضون، وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة، فلا يحصلون على طائل من التصرف في العلم والتعليم، ثم بعد تحصيل من يرى منهم أنه قد حصّل تجد ملكته قاصرة في علمه إن فاوض أو ناظر أو علّم، وما أتاهم القصور إلا من قبل التعليم وانقطاع سنده، وإلا فحفظهم أبلغ من حفظ سواهم، لشدة عنايتهم به وظنهم أنه المقصود من الملكة العلمية وليس كذلك[12] "، وعليه يجب محاربة هذه الظاهرة وذلك عن طريق بناء الأسئلة بطريقة تستهدف الفهم لا التي تستهدف حفظ المتعلم أو أن يردّ للمعلّم بضاعته التي أخذها منه عند الامتحان أو التقويم، وحاليا تهتم اللسانيات التربوية ببناء الاختبارات وعادة ما يتمّ عقد ندوات للأساتذة بإشراف المفتشين تتناول هذه المواضيع.

3.4 **التحصيل العلمي الناجح :** تحدّث **"ابن خلدون"** عن فكرة التحصيل العلمي وكيف يكون ناجحا، حيث يرى أن تعلم أي علم و الإبداع فيه يكون بالإحاطة بقواعده والوقوف على جميع مسائله، يقول: " وذلك أن الحذق في العلم والتفنّن فيه والاستيلاء عليه، إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله"[13]، وهذا الأمر لا يقتصر على المعلّم دون المعلّم، بل يمسهما معا؛ فالمعلم هو الآخر لا

بد أن يكون محيطا بجميع جزئيات العلم الذي يقدّمه لطلبته لمساعدتهم على التّحصيل الجيّد للعلوم، والمتعلم إذا أراد التمكّن من علم ما يكون لزاما عليه الاطلاع على مختلف قضاياه الرئيسية منها والفرعية، وما تحدّث عنه **"ابن خلدون"** في هذه المسألة هو ما جاءت به اللسانيات التربوية الحديثة، فقد ركزت اهتمامها على قطبي العملية التعليمية التعلمية (المعلّم والمتعلّم) وقدّمت لنا مختلف الصفات التي يجب أن يتّصف بها المعلّم حتّى يكون ناجحا والمتعلّم حتى يتمكّن من تحصيل العلوم؛ فالمعلّم من الشروط الأساسية التي يجب أن تتوفر فيه هو أن يكون عالما بمادة تخصصه شكلا ومضمونا، متمكّنا من فروعها وفاهما لمضامينها، و أن يكون مطّلعا على كل مستجدّات التطور الحاصل في خاصة مجال تخصصه، أما المتعلّم فيشترط فيه حتى يتمكّن من تحصيل المعارف والعلوم أن يكون محيطا بجميع مسائلها ودائم الاطّلاع عليها.

4.4 **أخذ العلوم التي تغذي العقل:** تحدّث **"ابن خلدون"** عن العلوم التي تُغذي عقل طالب العلم وهي : الكتابة والحساب، فـ" الكتابة من بين الصنائع أكثر إفادة لذلك لأنها تشتمل على العلوم والأنظار بخلاف الصنائع. وبيانه: أن في الكتابة انتقالا من الحروف الخطية إلى الكلمات اللفظية في الخيال، ومن الكلمات اللفظية في الخيال إلى المعاني التي في النفس، وذلك دائما فيحصل لها ملكة الانتقال من الأدلة إلى المدلولات، وهو معنى النظر العقلي الذي يكسب العلوم المجهولة، فـ يكتسب بذلك ملكة من التعقّل تكون زيادة عقل، ويحصل به قوة فطنة وكيس في الأمور لما تعوّده من ذلك الانتقال [14] "، فالكتابة إذا عملية عقلية يقوم فيها الطالب بتحويل المعاني التي في ذهنه إلى صورة خطية، وهذا يتفق مع ما جاءت به النظرية التوليدية التحويلية في حديثها عن البنى العميقة (وهي التي تكون في الذهن) وتحويلها إلى بنية سطحية (مكتوبة أو منطوقة) عن طريق قواعد التحويل، فالكتابة إذا عملية عقلية تحتاج إلى حضور العقل والتركيز، وكلّما تدرّب عليها المتعلّم كلّما غذى عقله وكلّما أبدع فيها فتصبح بذلك الكتابة عنده مهارة وهو ما يساعده على التعبير والتواصل مع الآخرين، واللسانيات التربوية الحديثة تهتم بالمهارات اللغوية المختلفة ومنها مهارة الكتابة، وفي المناهج التربوية الجزائرية يبدأ الطفل بتعلّم الكتابة منذ المرحلة التحضيرية والتي يقوم

فيها بتخطيط الحروف غير أن الوقت المخصص للتخطيط قصير بالنظر إلى أهمية الكتابة، لهذا نجد أغلب الأطفال في المرحلة الابتدائية لم يكتسبوا مهارة الكتابة ولا يستطيعون تحويل المعاني التي في نفوسهم إلى نصوص مكتوبة، لهذا يجب إعادة النظر في الوقت المخصص للإنتاج الكتابي وحتى لرسم الحروف وتخطيطها.

"ويلحق بذلك الحساب فإن في صناعة الحساب نوع تصرف في العدد بالضم والتفريق، يحتاج فيه إلى استدلال كثير، فيبقى متعودا للاستدلال والنظر، وهو معنى العق ل"[15]، فالحساب من العلوم التي تحتاج إلى إعمال العقل لما فيه من عمليات الاستدلال والاستنباط...، وكلّما تدرّب المتعلّم على العمليات الحسابية خاصة منها الحساب الذهني الذي يحتاج إلى إعمال العقل فقط دون اعتماد وسائل أخرى خارجية كلّما كان تفكيره منطقيا وتطورت لديه القدرة على التركيز والخيال والتصور والتحليل والملاحظة وتحسّن الذاكرة... لهذا فإن التركيز على تعليم الأطفال الحساب من الأمور الضرورية، والمناهج التربوية الجزائرية تسعى إلى تحقيق هذه الغاية غير أنه يعاب عليها تقديمها للمحتوى الحسابي بنوع من الحشو لا يتناسب والوقت المخصص له، وبطريقة لا يستوعبها ضعفاء المستوى وحتى متوسطو الذكاء، لهذا يجب إعادة النظر في نوع وكم الدروس والحجم الساعي المخصص لها ومدى تناسبها وعمر الطفل ونموّه العقلي.

5.4 التدرّج في التعليم: وهو من أهم النقاط التي تحدّث عنها "ابن خلدون"، فالمتعلم لا يمكن له أن يستوعب كمّا كبيرا من المعلومات والمعارف في وقت قيّاسي، بل يتمّ ذلك بالتدريج، وهذا ينطبق على تعلّم اللغة الأمّ، فيجب أن يتعلّمها الطفل شيئا فشيئا حتى تكتمل الملكة عنده، فـ"تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدريج شيئاً فشيئاً وقليلا قليلا. يلقى عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب. و يقرب له في شرحها على سبيل الإجمال ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه، حتى ينتهي إلى آخر الفن، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم؛ إلا أنها جزئية وضعيفة، وغايتها أنها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله. ثم يرجع به إلى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها، ويستوفى الشرح والبيان، ويخرج عن الإجمال، ويذكر له ما هنالك من الخلاف

ووجهه إلى أن ينتهي إلى آخر الفن فتجود ملكته: ثم يرجع به وقد شدا فلا يترك عويصاً ولا مبهما ولا مغلقاً إلا وضحه وفتح له م قفله؛ فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته. هذا وجه التعليم المفيد. و هو كما رأيت إنما يحصل في ثلاثة تكرارات. وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه"[16].

يتضح لنا من خلال قول "ابن خلدون" أن التعليم المفيد يتم بـ

- التدريج في تقديم المادة العلمية إلى جانب تكرار العلوم حتى يتمكّن المتعلم منها.
- مراعاة استعداد المتعلّم وقابليته للتعلم، مع مراعاة قوة عقل المتعلّم.

كما قدّم **"ابن خلدون"** إلى المعلّمين الطريقة الصحيحة للتعليم ويعيب على بعض المعلمين طرق تعليمهم، يقول: "شاهدنا كثيراً من المعلمين لهذا العهد الذي أدركنا يجهلون طرق التعليم وإفادته ويحضرون للمتعلم في أول تعليمه المسائل المقفلة من العلم ويطالبونه بإحضار ذهنه في حلها، ويحسبون ذلك مرانا على التعليم وصواباً فيه... و يخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مبادئها، وقبل أن يستعد لفهمها. .. ويكون المتعلم أول الأمر عاجزاً عن الفهم بالجملة إلا في الأقل وعلى سبيل التقريب والإجمال وبالأمثال الحسية... و إذا ألقيت عليه الغايات في البدايات وهو حينئذ عاجز عن ال فهم والوعي وبعيد عن الاستعداد له كلَّ ذهنه عنها، وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله ..."[17]، وللأسف فإن هذه الطريقة في التعليم تعتمد بكثرة حتى في المناهج التربوية الجزائرية؛ حيث يتم تقديم الحصة بإثارة أسئلة حول الموضوع ومطالبة الطفل بالإجابة عنها، ليبدأ الدرس بتقديم المادة المعرفية في زمن قياسي قد يكون عشرون دقيقة في المراحل الأولى إلى ساعة في المراحل المتقدّمة ثم مطالبة التلميذ بحل بعض التمارين حول موضوع الدرس لينتقل المعلّم بعدها إلى درس آخر، فنجد بذلك أغلب المتعلّمين لم يفهموا ما عرض عليهم فيصعب عليهم فهم الدروس اللاحقة فيبتعدون عن هذا العلم ظنّا منهم أنه صعب ويحدث هذا خاصة مع مادة الرياضيات والفيزياء واللغات.

وحتى يكون المعلّم ناجحا في تقديم علمه ينبغي عليه أن لا " يزيد متعلمه على فهم كتابه الذي أكبّ على التعليم منه بحسب طاقته ... ولا يخلط مسائل الكتاب بغيرها حتى يعيه من أوله إلى

آخره... و كذلك ينبغي لك أن لا تُطَوِّل على المتعلم في الفن الواحد بتفريق المجالس وتقطيع ما بينها، لأنه ذريعة إلى النسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض"[18]

فالطريقة الصحيحة للتعليم إذا تكون بـ:

- ابتعاد المعلّم في بداية تقديم علم ما عن المسائل المعقّدة، وأن لا يحمّل المتعلّم فوق طاقته.
- الابتعاد عن تقديم المادة المعرفية دفعة واحدة، واستخدام الأمثلة الحسية للشرح.
- أن لا يخلط على المتعلّم علمين معا، وأن لا يخلط مسائل كتاب بكتاب آخر.
- أن لا يطيل المدّة بين المجالس العلمية حتّى لا ينسى المتعلّم ما تعلّم.

6.4 **كثرة التأليف (الحشو):** تحدث "**ابن خلدون**" عن حشو المادة المعرفية للمتعلّم، ويرى أنه يشكل عائقا أمام التعلم يقول: " اعلم أنه ممّا أضرّ بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم، وتعدد طرقها، ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك، وحينئذ يسلّم له منصب التحصيل، فيحتاج المتعلم إلى حفظها كلها أو أكثرها ومراعاة طرقها، ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة إذا تجرد لها فيقع القصور ولا بد دون رتبة التحصيل ، ويمثل ذلك من شأن الفقه في المذهب المالكي بكتاب المدونة مثلا وما كتب عليها من الشروحات الفقهية..."[19]

فكثرة الحشو إذا تشكل عائقا كبيرا أمام تعلّم الطفل ، ففي المرحل الابتدائية يتعلّم الطفل كلمات كثيرة فإذا قلنا أنه يتعلم 3000 آلاف كلمة فإننا نجده في الحقيقة يتعلّم حوالي 1000 كلمة وبقية الكلمات ما هي إلا مرادفات للكلمات الأخرى، أو يأخذها مرة واحدة في درس من الدروس ولا يستعملها ثانية فينساها، ومثل هذا الحشو لقاموس المتعلّم في مثل هذه المرحلة قد يضرّه أكثر مما ينفعه، حتى أننا نجد بعض المتعلمين لا يجيدون الإملاء أو التعبير لأنهم أخذوا الكثير من الكلمات في فترة تعليمية قصيرة لم يتمكنوا من خلالها إدراك المعاني بشكل صحيح أو حفظ طريقة كتابتها بشكل سليم، وهذا الأمر مع بقية المواد التعليمية، لهذا يجب أن تقدم له المادة المعرفية بالتدرج عبر مراحل تعليمية حتى يتسنى له استيعابها ، وعليه يجب إعادة النظر في المناهج التربوية التعليمية في الجزائر التي يُلاحظ عليها كثرة الحشو فبعد أن

كان الطفل يأخذ المعارف والعلوم في ست سنوات أصبح يأخذها في خمس سنوات بشكل مكثف لا يستوعبه التلاميذ الضعفاء بل حتى بعض الدروس لا يفهمها الأذكياء لأنها لا تتناسب ونموهم العقلي.

7.4 **كثرة الاختصار في العلم** : في مقابل الحشو يرى" **ابن خلدون**" أن كثرة الاختصار في العلم تعد عائقا أمام التعلّم ، وقد وضح ذلك بقوله: " ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم، يولعون بها ويدوّنون منها برنامجا مختصرا في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها في بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن. وصار ذلك مخلا بالبلاغة وعسرا على الفهم..." [20] وعليه فتقديم العلم للمتعلّمين لا يكون باختصار يجعله محصورا ولا بحشو كثير يصعب ضبط مصطلحاته وفهمه، بل يكون بطريقة متدرجة مع التركيز على أهم المسائل وأخذ ما يخدم ذلك العلم وما يمكن للمتعلم فهمه.

8.4 **اللين في التعليم**: يتعامل المعلّم مع عقليات مختلفة للمتعلّمين لهذا يحتاج إلى اعتماد أساليب مختلفة مع همك الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى؛ على أن يكون ترهيبه باعتماد أساليب تجعل المتعلّم يعيد النظر في تصرفاته كالصمت العقابي وعدم إشراكه في الأنشطة المسلية... لا أن يكون بالضرب والشتم لأن هذا قد يسبب له عقدا نفسية تظهر على المدى القريب أو البعيد كأن يكره ذلك الأستاذ ويكره مادته ويهرب من المدرسة... لهذا دعا "ابن خلدون" إلى استعمال اللين عند التعليم وتجنب أساليب القمع والقهر، يقول: " إرهاف الحد في التعليم مضر بالمتعلم سيما في أصاغر الولد لأنه من سوء الملكة. ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر، وضيق على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعاه إلى الكسل، وحُمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة لذلك ، وصارت له هذه عادة وخلقا ..."[21]، فالضرب والقمع والقهر من الأساليب السيّئة التي يعتمدها المعلّم إلا أن يكون الضرب من أجل التهذيب ولكن ليس إلى حد التسبّب في عقد نفسية أو ترك آثار وندوب على المتعلّم.

كانت هذه إشارات إلى بعض الأفكار التربوية التي جاء بها ابن خلدون، والملاحظ عليها أنها في أغلبها ـ إن لم نقل كلّها ـ مهمة جدا وتخدم التّعليم بجميع فئاته وأطيافه، وتحتاج هذه الأفكار إلى اهتمام الباحثين خاصة منهم معدّو المناهج التربوية في الجزائر؛ فإعدادها يتخلّله بعض القصور الذي يحتاج إلى تعديلات خاصة فيما يتعلّق بحشو المحتوى التعليمي وعدم مراعاة توافق المحتوى مع النمو العقلي للطفل وعدم التدرج في عرض المادة المعرفية، وخير دليل على ذلك ما يتعلّمه أطفال التربية التحضيرية خاصة في مادة التربية العلمية والذي يفوق نموهم العقلي، فكيف يعقل لطفل بعمر الخمس سنوات أن يدرس مراحل نمو النبتة والمجموعات الغذائية بل ويطلب منه في درس من الدروس تكوين وجبة غذائية صحيّة انطلاقا من المجموعات الغذائية التي درسها؟ !، فهذا يفوق نموه العقلي ويجعله يشعر بضعفه مما يؤثر على تحصيله فيما بعد، ولعلّ هذا من أكثر الأسباب التي أدّت إلى تراجع المستوى التعليمي، وعليه يجب إعادة النظر في بناء المناهج التعليمية وأن تتمّ العودة إلى التراث العربي القديم والنهل منه لخدمة التّعليم.

خـــــاتمة: من خلال ما سبق يمكن القول أن:

- اللسانيات التربوية بوصفها علما حديثا لها جذور في التراث العربي القديم؛ فأغلب الأفكار التي جاءت بها اللسانيات التربوية الحديثة والتي تنادي بها قد تناولها العلماء العرب القدامى ونادوا بها، ومن بينهم: ابن حزم، وابن القيّم، وابن خلدون.

- من بين الأفكار التي تتفق فيها اللسانيات التربوية الحديثة والتراث العربي القديم: تعليمية اللغة العربية، صفات المعلّم النّاجح وصفات المتعلّم الناجح، والطريقة الصحيحة للتعليم والتّعلّم، المحتوى التعليمي...

- من الأفكار التربوية التي أثارها ابن القيم وابن حزم حديثهما عن فضل العلم في محاولة منهما لإبراز فضل العلم على الإنسان وحياته، وأنه يرفع صاحبه درجات وهو عند الله أعلى منزلة من الجاهل، وهذا ما يحتاجه المتعلمون اليوم، فلو كانوا يدركون حقا فضل العلم على حياتهم وعلى المجتمع لما كان منهم هذا العزوف عن الدراسة.

– من أسباب نجاح المتعلّم إرادته ودافعيته في التّعلّم لأنها المحفّز نحو الاغتراف من العلوم، بل هما شرطان أساسيان يجب توافرهما في المتعلّم لنجاح تعلّمه.

– من آليات تعلّم العلوم وترسيخها في الذهن آلية (التفكر والتذكر) التي تحدث عنها"ابن القيم"؛ فتعلم أي علم وفهمه يحتاج إلى إعمال العقل للتفكر والتدبر فيه وفهمه فهما صحيحا، ومن ثمَّ مذاكرة ما تعلمه وفهمه حتى يترسخ في ذهنه

– يجب أن يتناسب العلم مع مستوى المتعلّم، فلا يجب أن يتعلّم المتعلّم علما أكبر من مستوى تفكيره لأن هذا يهلك عقله، بل يجب أن يأخذ من العلوم ما يمكن له فهمها واستيعابها، وهذا ما يجب أن تعيد المناهج الجزائرية النظر فيه.

– أثار **"ابن خلدون" في كتابه "المقدّمة" الكثير من الأفكار التربوية منها حديثه عن** الملكة اللغوية ويتفق في تعريفه لها مع الوظيفيين في أنها إنتاج الكلام بشكل سليم نحويا ودلاليا مع مراعاة مقتضى الحال، و ترتبط جودة الملكة عند المتعلّم بما يحفظه وما يسمعه فعلى قدر جودة المحفوظ أو المسموع تكون جودة الملكة.

– تحدث"ابن خلدون" عن الطريقة الصحيحة للتعليم وهي تتحقق من منظوره بجملة من الشروط كالتركيز على العلوم التي تغذي العقل كالكتابة والحساب، واستخدام الأمثلة الحسية، والابتعاد عن الاختصار في العلم، وتجنب الحشو، وأن لا يخلط المعلّم على المتعلّم علمين معا، ولا يخلط مسائل كتاب بكتاب آخر، واللين في التعليم، وهي في نظرنا ستكون مفيدة في بناء المناهج التربوية إن تمّ استثمارها.

– الأفكار التي أثارها العلماء العرب القدامى وعلى رأسهم ابن خلدون من شأنها النهوض بواقع التعليم عموما، وخاصة تعليم اللغة العربية التي عزف أبناؤها عن تعلّمها، لهذا يجب على الفاعلين في بناء المناهج التربوية استثمار الأفكار التربوية في التراث العربي القديم خاصة أن أغلبها كانت من أجل تعليم اللغة العربية لهذا فإن أفكارهم تخدم بناء مناهج اللغة العربية أكثر من المناهج الغربية.

هوامش:

[1] للاطلاع على أهم ما يرتبط بتعليمية اللغات ينظر: ـ كيور جازية، (أكتوبر2018)، تعليمية اللغات بين التنظير والتطبيق، مجلة لغة كلام، غليزان، المجلد 4، العدد 2.

ـ هباشي لطيفة، (مارس 2013)، تعليمية اللغات واللغة العربية . إشكاليات وتحديات، مجلة التواصل في اللغات والآداب، عنابة، العدد 37.

[2] ينظر : . حليمة أحمد مصطفى، (2014)، جودة العملية التعليمية . آفاق جديدة لتعليم معاصر . ط1، دار مجدلاوي، عمان، ص:161.138.

. بن عبد العزيز عبد المحسن، (1414ه)، الوسائل التعليمية مفهومها وأسس استخدامها ومكانتها في العملية التعليمية، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، ص: 25 . 30.

[3] الجغيمان محمد بن عبد الله، علي محمود عبد الحي، (2008)، علم النفس التربوي . حقيبة تدريب أكاديمية، مركز التنمية الأسرية، السعودية، ص: 14 . 16.

[4] السيد الشخص عبد العزيز، التأخر الدراسي تشخيصه وأسبابه، شركة سفير، القاهرة، ص: 29. 32.

[5] ابن حزم، الأخلاق والسير أو رسالة في مداواة النفوس، تحقيق إيقا رياض وعبد الحق التركماني، دار ابن حزم، بيروت، ص: 87.

[6] المرجع نفسه، ص: 89.

[7] ابن قيّم الجوزية، (1996)، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، تقديم: علي بن حسين بن علي، مراجعة: أبو زيد بكر بن عبد الله، ج1، دار ابن عفان، السعودية، ص: 214.

[8] المرجع نفسه، ص: 545.

[9] المرجع نفسه، ص: 1278، 1279.

[*] يرى الوظيفيون أنّ نموذج مستعمل اللغة يتكون من خمس قوالب تمثل الملكات التي تتوافر لدى مستعمل اللغة، وهي خمس ملكات مجتمعة: الملكة اللغوية/ الملكة المعرفية/ الملكة المنطقية/ الملكة الاجتماعية/ الملكة الإدراكية

[10] مليطان محمد الحسين، (2014)، نظرية النحو الوظيفي ـ الأسس والنماذج والمفاهيم ـ، ط1، دار الأمان، الرباط ص: 141، 142.

[11] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: علي عبد الواحد وافي، ج3، ص: 1313.

[12] المرجع نفسه، ص: 1021.

[13] المرجع نفسه، ص: 1019.

[14] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: علي عبد الواحد وافي، ج2، ط3، دار نهضة مصر، القاهرة، صص: 984.

[15] المرجع نفسه، ص: 984.

[16] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: علي عبد الواحد وافي، ج3، ص: 1243.

[17] المرجع نفسه، ص: 1243، 1244.

[18] المرجع نفسه، ص: 1244.

[19] المرجع نفسه، ص: 1240.

[20] المرجع نفسه، ص: 1242.

[21] المرجع نفسه، ص: 1253.

قائمة المراجع

1. ابن حزم، الأخلاق والسير أو رسالة في مداواة النفوس، تحقيق إيقا رياض وعبد الحق التركماني، دار ابن حزم، بيروت.
2. ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: علي عبد الواحد وافي، ج2، ط3، دار نهضة مصر، القاهرة.
3. ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: علي عبد الواحد وافي، ج3، ط3، دار نهضة مصر، القاهرة،
4. ابن قيّم الجوزية، (1996)، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، تقديم: علي بن حسين بن علي، مراجعة: أبو زيد بكر بن عبد الله، ج1، دار ابن عفان، السعودية.
5. بن عبد العزيز عبد المحسن، (1414ه)، الوسائل التعليمية مفهومها وأسس استخدامها ومكانتها في العملية التعليمية، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية.
6. الجغيمان محمد بن عبد الله، علي محمود عبد الحي، (2008)، علم النفس التربوي. حقيبة تدريب أكاديمية، مركز التنمية الأسرية، السعودية.
7. حليمة أحمد مصطفى، (2014)، جودة العملية التعليمية. آفاق جديدة لتعليم معاصر. ط 1، دار مجدلاوي، عمان.
8. السيد الشخص عبد العزيز، التأخر الدراسي تشخيصه وأسبابه، شركة سفير، القاهرة.
9. كيور جازية، (أكتوبر 2018)، تعليمية اللغات بين التنظير والتطبيق، مجلة لغة كلام، غليزان، المجلد 4، العدد 2.
10. مليطان محمد الحسين، (2014)، نظرية النحو الوظيفي. الأسس والنماذج والمفاهيم .، ط 1، دار الأمان، الرباط.
11. هباشي لطيفة، (مارس 2013)، تعليمية اللغات واللغة العربية. إشكاليات وتحديات، مجلة التواصل في اللغات والآداب، عنابة، العدد 37.